أحمد صبري النجريدي

خلال أربع سنوات، بين عامي 1924 و1927، أسفر التعاون الفني بين أم كلثوم وأحمد صبري النجريدي عن 13 عملاً، تنقسم من حيث الشكل إلى ثلاث قصائد، وثماني طقاطيق، وعملين يحملان إشكالات تصنيفية. هنا، نقف عند تجربة النجريدي القصيرة والغامضة

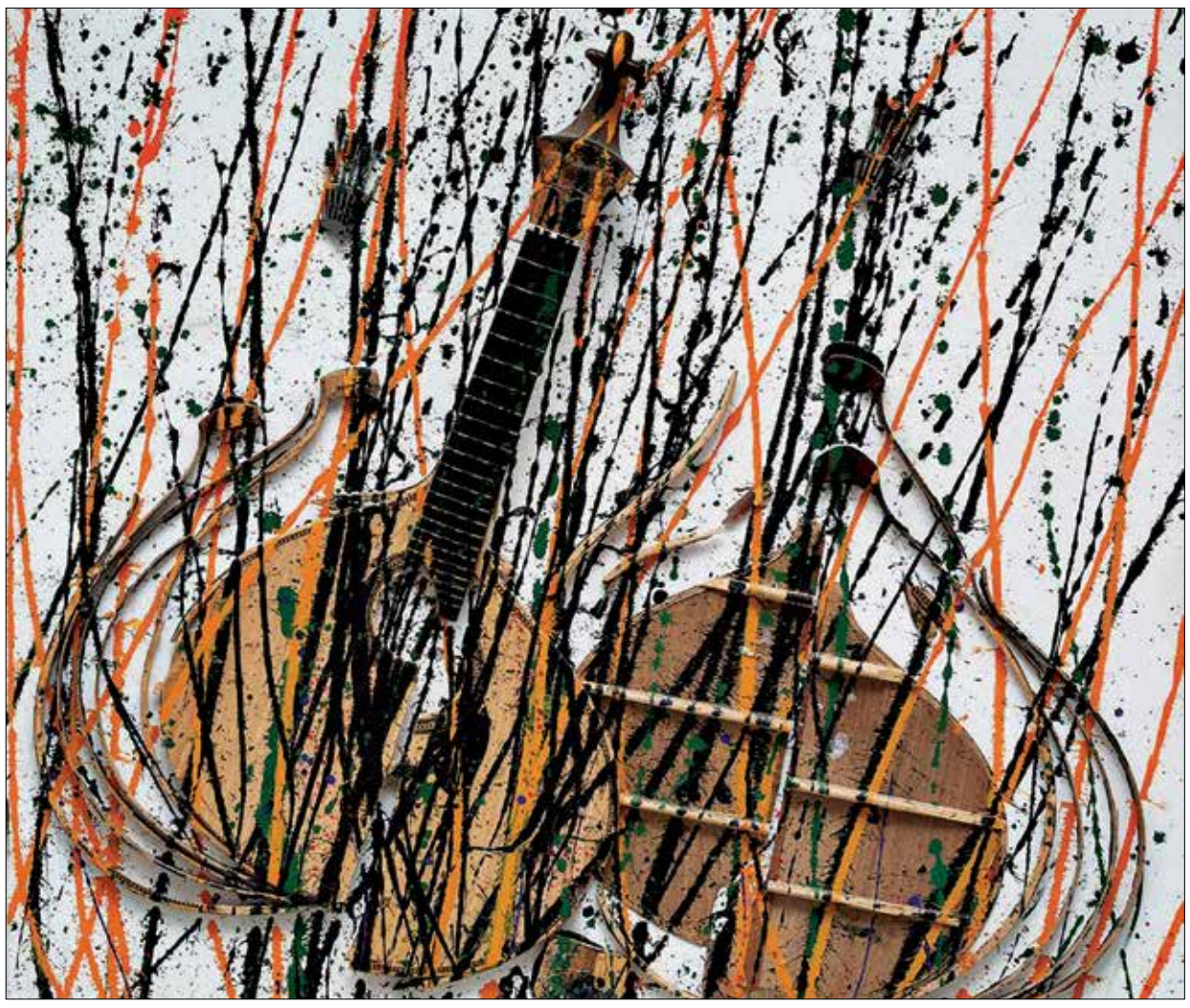

عمل للفنان الفرنسي آرمان (موقع الفنان)

سيرةٌ مُعرّفةٌ بالأغاني

هيثم أبوزيد

تكتنف الكتابة عن الملحن المصري أحمد صبري النجريدي عقبات عديدة، فالرجل صاحب أفقر صحيفة بيانات بين أهل الفن عموما، وبين ملحني أم كلثوم على وجه الخصوص، بل إن المعلومات عمّن اشتهروا قبل عقود من ميلاده أوفر وأغزر وأدق. صحيفة البيانات المحدودة تعطينا اسما ثلاثياً، وعنواناً هو مدينة طنطا، ومهنة هي طب الأسنان، وهواية هي التلحين. لا تاريخ ميلاد، ولا تاريخ وفاة.. ولا حتى صورة فوتوغرافية واحدة نستحضرها في أذهاننا حين نستعيد ألحانه التي شدت بها كبار المطربات.

وبالرغم من أن النجريدي قدم ألحاناً لمطربات غير أم كلثوم، إلا أن الأعمال القليلة التي قدمها لكوكب الغناء الصاعد حينها، كانت ولا تزال هي السبب الرئيس لبقاء ذكره إلى اليوم، بين قلّة من المهتمين بالمسيرة الغنائية الكاملة لأم كلثوم. فالجمهور الغفير من عشاق كوكب الشرق بامتداد البلاد العربية، أكثره لا يكاد يعرف النجريدي، وبالطبع لا يصح وضعه في مقارنة مع شهرة القصبجي، أو زكريا أحمد، أو السنباطي. لكن هذا الارتباط بصوت أم كلثوم، شكل ظهيرا يبدو منطقيا لهواة تحميل مطربة العرب مسؤولية كل معاناة يعانيها من حولها، وكل مأساة يعيشها المتعاملون معها، بما في ذلك الانطفاء الفني، والتوقف عن الإبداع غناءً، أو تأليفاً، أو تلحيناً، وتصوير صاحبة الصوت الأعظم باعتبارها كياناً شريراً يرتفع على أطلال ضحاياه.

وبالطبع فإن هذا الموقف يستلزم التغافل عمداً، أو الغفلة جهلاً، عما قدمه النجريدي لغير أم كلثوم، حيث يتقدم اسم فتحية أحمد، تلك المطربة ذات المكانة الكبيرة في مسيرة الغناء المصري خلال النصف الأول من القرن العشرين. ووفقا للمؤرخ الموسيقي السوري مروان منصور، فقد عرفنا من ألحان النجريدي لفتحية ثماني قصائد، هي: «فراق الروح»، و«أساة الهوى»، و«بلغوها إذا أتيتم حماها»، و«غلب الشوق مغرما فبكاك»، و«خطرت ورود الروض بين يديها»، و«عودوا لها وسلوها»، و«يا عاذلي بالله كف»، و«يا نظرة أرسلت نار الغرام».. وكلها كان - على الأغلب - بين عامي 1924 و1928. كما غنت «توحة» من ألحان النجريدي مونولوجاً واحداً، هو «أشكي منك واشتكيلك»، عام 1928. وأيضاً قدم النجريدي للمطربة نادرة عملين، هما: طقطوقة «القلب كان ماله ومالك» عام 1924، وقصيدة «سابق الريح نحوها يا غرامي».

> يستبين المستمع مدى تأثر النجريدي بالشيخ أبو العلا محمد

علاقة لم تطل

خلال أربع سنوات، وتحديداً بين عامي 1924 و1927 أسفر التعاون الفني بين أم كلثوم الملحن الهاوي أحمد صبري النجريدي عن 13 عملا، تنقسم من حيث الشكل إلى ثلاث قصائد، هي: «كم بعثنا مع النسيم سلاماً»، و«لي لذة في ذلتي وخضوعي»، و«مالي فتنت بلحظك الفتاك»، وثماني طقاطيق، هي: «الخلاعة والدلاعة»، و«الفل والياسمين والورد»، و«أنا على كيفك»، و«شفت بعيني»، و«يا ستي ليه المكايدة»، و«يا كروان والنبي سلم»، و«الحب كان من سنين»، و«والله ما حدش جني».. وعملين يحملان إشكالات تصنيفية، هما: «خايف يكون حبك ليا شفقة عليا»، وهو نص كتبه رامي بطريقة المونولوج، لكن تلحين النجريدي جعله أشبه بالطقطوقة بالرغم من عدم تكرار أي مقطع فيه.. و«طلع الفجر ولاح»، وهو نص فصيح، لكن تلحين بعض أجزائه تضمن ما يشبه الهنك في الأدوار.

هذه الأعمال التي لحنها النجريدي لأم كلثوم في بواكير مسيرتها الفنية، كانت - وما زالت - أشبه بجداريات أثرية، يمكن من خلال فك طلاسمها أن نتعرف إلى من بناها، ولو في جانب محدود من سيرته وتاريخه. ويمكن أن نقسم تلك الجداريات إلى قسمين: قصائد وطقاطيق، باعتبار أن المونولوج لم يكن قد تبلور متضح المعالم بعد.

قصائدياً، ومن دون جهد كبير، يستبين المستمع مدى تأثر النجريدي بالشيخ أبو العلا محمد. ليس فقط بالتزام إيقاع الواحدة الكبيرة، والتعامل مع النص أبياتاً منفردة، أو شطرات، بل إن روح التلحين والمعالجة النغمية تتلبس تماماً شخصية الشيخ أبو العلا، كما يتضح ذلك جلياً في قصيدة «ما لي فتنت بلحظك الفتاك»، من كلمات الشاعر علي الجارم، وبقدر أقل في قصيدتي «لي لذة في ذلتي» لأبو الحسن الدجاجني، و«كم بعثنا مع النسيم سلاما»، لإبراهيم حسني ميرزا، التي وضع لها الشيخ أبو العلا لحنا مختلفاً لم تغنه أم كلثوم، وشدت به فتحية أحمد، في تسجلين، أسطواني وإذاعي.

فإذا انتقلنا إلى نص «طلع الفجر»، اختلف الأمر، ولا نجد أثرا لمعالم قصيدة أبو العلا. وعلى غير ما هو معتاد من أم كلثوم، بدأت غناءها بليال، استمرت دقيقتين ونصفاً في تسجيل مدته سبع دقائق، وهي مدة كبيرة عند مراعاة النسبة والتناسب. ومع جملة «يا زمان الوصل»، يبدأ المرددون في تناوب الهنك على طريقة الأدوار.. وكل هذا أصاب التصنيف الشكلي لهذا العمل بالارتباك، فالنص قصيدة فصيحة تقليدية، واللحن يبدأ بـ يا ليلي يا عيني، ويضم جمل هنك وترديد.

هذه الاختلافات عن النمط التلحيني الموروث للقصيدة، كانت كافية لتبرير الارتباك التصنيفي، لكن فيكتور سحاب زعم اختلافاً آخر يتمثل في طريقة تلفظ أم كلثوم بمستهل الأغنية «طلع الفجر»، بكسر الطاء واللام، كما في العامية المصرية، وهو أمر ينفيه التسجيل الكلثومي الوحيد لهذا العمل، حيث تنطق الطاء واللام واضحتين جليتين بالفتح من دون أدنى شك. كان للطقطوقة الحظ الأوفر من مساحة التعاون الفني بين النجريدي وأم كلثوم، وهو تعاون لم يتوقف عند التلحين فقط، فمن بين الطقاطيق الثمانية التي لحنها للآنسة، كتب الرجل خمسة نصوص، هي: «الخلاعة والدلاعة مذهبي»، و«الفل والياسمين والورد»، و«أنا على كيفك»، و«يا كروان والنبي سلم»، و«والله ما حدش جني». وقد اتسمت هذه النصوص بخفة واضحة، ولم تخل أحيانا من ركاكة وضعف، مع الأخذ في الاعتبار أن الركاكة كانت سمة النصوص العامية في هذا التوقيت، ولم تكن رومانسية رامي ولوحاته الوجدانية قد ترسخت.

وقد لاقت طقاطيق النجريدي نجاحا جماهيريا كبيرا، فقد كان صوت أم كلثوم في عنفوانه وحدته، ووجد الناس في هذه الألحان شيئا جديدا رغم بساطتها، وخلوها التام من أي شكل من أشكال التعقيد النغمي، حيث لحن المذهب هو بعينه لحن الأغصان.

الفل والياسمين والورد

لا يكاد أحد يعرف على وجه الدقة تاريخ توقف النجريدي عن التلحين، ولا تجد أسئلة اختفائه الفني إجابات شافية: أكان آخر ألحانه لأم كلثوم؟ أم إنه اختلف معها وواصل مع غيرها؟ وإن كان لغير أم كلثوم فإلى أي مطربة ذهب؛ فتحية أحمد أم نادرة؟ لم يستطع أحد أن يقترح تاريخاً دقيقاً لهذا الانطفاء الفني، لكننا نتذكره ونحن نستمع إلى كلماته ولحنه: الفل والياسمين والورد.

إنتاجات

قبل أيام، أصدر المغني الأميركي، **ويلي نيلسون**، ألبوماً جديداً حمل عنوان «First rose of spring»؛ وهو الألبوم السبعون في مسيرة أسطورة موسيقى الكاونتري، الذي يبلغ من العمر 87 سنة.

عند الثامنة والنصف من مساء الخامس والعشرين من الشهر الجاري، تعود الفنانة الفلسطينية **أمل كعوش** لتقدّم عرضاً غنائياً بعنوان «اترك قمرنا يا حوت»، وذلك في «بيت الفنان حمّانا»، في قرية حمّانا اللبنانية.

عند الثامنة من مساء اليوم تقيم فرقة **النفيخة** المصرية عرضاً على خشبة «المسرح المكشوف»، من تنظيم دار الأوبرا المصرية. تتألف الفرقة من ستة عازفين، خمسة منهم يلعبون آلات نفخية نحاسية، وواحد على الإيقاع.

بعد انقطاع دام لأكثر من ثلاثة أشهر عن الحفلات الحية، يعود **مترو المدينة** في بيروت، تدريجياً، إلى العروض الحية. عند العاشرة من مساء اليوم، يكون الجمهور على موعد مع ساندي شمعون حيث ستؤدي أعمالاً للشيخ إمام.

طرح المؤلف الموسيقي، **حكمت قصار**، ألبوماً جديداً، حمل عنوان «91 صورة»؛ وهو العمل الثاني للفنان السوري، بعد ألبوم «اقتباسات» الذي أصدره العام الماضي؛ ولاقى رواجاً معقولاً في الأوساط الثقافية السورية.

فرقة DMA's
المزيد من المساحة الفارغة

عمر بقبوق

قبل أيام، أصدر ثلاثي الروك الأسترالي، DMA's، ألبوماً جديداً حمل عنوان «The Glow»؛ وهو العمل الثالث في مسيرة الفرقة التي تشكلت في مدينة سيدني قبل ثمانية أعوام. يضم الألبوم إحدى عشرة أغنية. كان من المقرر أن يتم طرحه بتاريخ 23 مارس/آذار، لكن الفرقة قرّرت تأجيل طرح الألبوم بسبب انتشار جائحة كورونا، التي كان لها أثر كبير على الإنتاج الموسيقي العالمي في الفترة الماضية.

يعتبر الألبوم الجديد بمثابة تحول في مسار DMA's، ففيه تتخلّى الفرقة عن نمط الـ«إيندي روك» الذي لازمها منذ تأسيسها، لحساب أنماط موسيقية أخرى، كالروك والـ«ريتبوب ريفيفال»، وهو تحول يبدو منطقياً؛ إذ إن الفرقة التي كانت في أعوامها الأولى تتبنّى ثقافة الـ«إيندي روك»، المتمثلة بمبدأ «Less is more»، وترجمته بأغنيتها الفردية الأولى «Delete»، إذ اقتصر اللعب فيها على غناء توماس أوديل المرافق لعزف ماثيو ماسون على الغيتار الكهربائي، وجوني توك على غيتار الأكوستيك؛ سبق لها أن خطت العديد من الخطوات التي تشير إلى تحول محتمل بمسارها، وذلك بعد أن انتقل أعضاؤها إلى بريطانيا للعزف لجمهور نادي إيفرتون الذي يشجعونه.

وسبق أن قام أعضاء DMA's بالتعبير عن سعيهم للاستفادة من الأنماط الموسيقية التي خالطوها في بريطانيا، مع التشديد على ضرورة دراسة هذه الخطوة بشكل جيد، كي لا يكون التحول سطحياً، يدمج بين موسيقى البوب السائدة في بريطانيا والموسيقى التي يعزفونها بشكل اعتباطي؛ ولا سيما أن الفرقة تمكنت من اكتساب شعبية كبيرة لدى الجمهور الإنكليزي بسبب انتمائها إلى نادٍ عريق في كرة القدم، وبسبب استخدام شركة «EA Sports» أغنيتهم المنفردة «Play it Out» في لعبة «فيفا 2017».

> يتخلّى أوديل عن نمط غنائه الكئيب ويقدم مع فرقته أغاني مبهجة

في الألبوم الجديد، يتخلى أوديل عن نمط غنائه الكئيب، ويقدم مع فرقته أغاني مبهجة وراقصة. وعلى الإيقاعات السريعة التي يلعب الغيتار الكهربائي فيها دور البطولة، يردد أوديل كلمات مبهجة تحثّ على التغيير والتعاطي مع التحولات الطارئة على الحياة بشكل إيجابي. وهو ما يمكن أن نلتمسه بوضوح في أغنية «Learning Alive»، التي تبدو تبريراً سردياً للتحولات التي طرأت على مسار الفرقة، حيث يقول فيها: «لم أكن خائفاً من الانفتاح، هدمت الجدران للحصول على المزيد من المساحة الفارغة. يوم غد على قيد الحياة وإن بدا مكسوراً، كل ما علينا فعله هو أن ندفع أنفسنا إلى الأمام معاً»، ويضيف في النهاية: «كيف يمكنني أن أخبركم أن نتحسن في الحياة». التغيير هو أمر مرتبط بطبيعة الحياة؛ هذه هي النتيجة التي تدفعنا DMA's للموافقة عليها من خلال أغاني الألبوم ككل، التي يتردد في العديد منها جملة: «الحياة تدور» أو «العالم يدور»، بإشارة إلى أن فعل دوران الأرض الذي يتسبب بمرور الزمن، هو ذات الفعل الذي يؤدي للتغيير وتعاقب الليل والنهار والفصول.

لكن بعض الأغاني ترد فيها جمل معترضة، تعكس حالة أكثر انكساراً؛ كما هو الحال في الأغنية الرئيسية في الألبوم «The Glow»، التي يفتتحها أوديل بأسئلة تشكك في الوجود والعالم من حوله: «هل يوجد أحد حقيقي؟ هل هنالك من يشعر بذات الشعور؟ هل يرى أحد العالم كما أراه؟»، ويضيف بعد ذلك: «لقد سئمت من متابعة التوهج»؛ لكنه ينهي هذه الجمل التشاؤمية بنتائج تفرض حتمية التغيير، حيث يقول: «لا شيء يتحرك أسرع من الأشياء التي سنعرفها، والوقت الذي يلزم لاستيقاظنا هو ذلك الجزء مني الذي أسمح بعبوره كل ليلة».

هل يرى أحد العالم كما أراه؟ (Getty)